كلمة باسم حلقة العزابة للمسجد الكبير بغرداية

في حفل افتتاح التظاهرة التأبينية للشيخ الحاج أحمد بن بكير بازين عشية الخميس **11** جوان **2009**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الحياة والممات، ولحكمة أرادها رفع الناس بعضهم فوق بعض درجات، ابتلاء لهم واختبارا لمن يستبق منهم الخيرات، سبحانه القائل : { وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم، فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ، إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }[المائدة**48**].

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ما تعلم لله المتعلمون، وضحى في سبيله الرجال المخلصون، الذين وصفهم الله بقوله : {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}[الأحزاب**23**] .

فيأيها المحفل الكريم، ويأيها الحضور الأفاضل، من المشايخ والأعيان والإطارات ... السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد :

في هذه الوقفة الطيبة التي تنطلق فيها مؤسستنا العتيدة –مؤسسة الشيخ عمي سعيد– جدير بنا أن نتأمل في ماضينا وحاضرنا حتى نخطط للمستقبل بما نثمن له من إيجابيات، ونتدارك من سلبيات، وإن وقفة مثل هذه لتطال جوانب الأمة المختلفة ....، واسمحوا لي يا سراةَ الأمة وأعيانَها أن أهمس في آذانكم بهذه التوصيات بالمناسبة :

1/ واجب تقدير عظماء الأمة وصناع تاريخها :

إن أي أمة من الأمم تُرزق من حين لآخر برجال أفذاذ يضحون في سبيل صناعة مجدها والذود عن حماها، وبالتأمل في تاريخ الأمم عامة نجد أن الأحداث والقضايا في المسار التاريخي ما هي إلا مواقفُ ومسالكُ يسجلها عظماء أي أمة، فيصيرون بذلك صناعا لتاريخها.

وأمتنا الإسلامية باعتبار مبادئها الأخلاقية وقيمها الدينية، من مثلِ التقدير للمُثُل العليا، والإبرازِ للنماذج الصالحة من أبنائها، والوفاءِ لمن خدم مصلحتها، وساهم في عزتها والتمكينِ لدينها؛ ... وهذا منهج سار عليه القرآن الكريم مبرزا للنماذج البشرية المثالية، من الأنبياء والرسل قصد التأسي والاقتداء، ولذلك قال الله فيهم: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام**90**]، من هذه المنطلقات يتوجب على الأمة أن تعتني بتاريخ عظمائها بهدف :

الرفع من شأن العمل الخيري والدعوة إليه .

غرس قيم التضحيةِ في سبيل الله وخدمةِ الصالح العام في نفوس الأجيال، وربطِ وجدانهم بالتأسي والاقتداء من السلف الصالحين .

هذا، وشيخنا المحتفى به عمنا ج أحمد بن بكير بازين رحمة الله عليه، عرفناه عن كثب وعاشرناه عن قرب، فوجدناه فردا صالحا في أمته، وعنصرا قياديا بارزا في حلقة العزابة وإدارة مؤسسة الشيخ عمي سعيد

وغيرها من الهيئات الاجتماعية، شعلةً من الحيوية والنشاط، يتقد غيرة وحماسا، شخصيةً جمعت بين فضائلَ عديدة وأعمالٍ جليلة؛ ويُعد من النماذج الفريدة التي ساهمت بفعالية في استقامة الأمة وإصلاح أحوالها وتحقيق مصلحتها، تقبل الله منه وغفر له، وجمعنا به في جنة الخلد { مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً }[النساء69] .

2/ حاجة الأمة إلى القيادة الروحية الرشيدة :

لا يصلح شأن الأمة بدون قيادة روحية رشيدة يرجع إليها أمرُها، وتنضبط الرعية وفق إمرتها، وتوجهها الوجهة الصحيحة، وحياةُ الأمة بغير ذلك حياة لا نفع فيها للإسلام ولا خير فيها للمسلمين .

وأهم ما نؤكد عليه في هذا المقام –حتى تكون القيادة الروحية للأمة رشيدةً بحق– هو الالتزام بالتعاليم المقررة شرعا في هذا الصدد، والتي تُعد سببا رئيسيا للنجاح وتحقيق مصلحة الأمة، ومن ذلك :

- تحكيم الشورى ورأي الجماعة، وهذا حتى تُصان مؤسساتنا القيادية من العبثيات الشخصية والنزوات الفردية .
- أضف إلى ذلك التحلي بالواقعية والعقلانية في معالجة القضايا العامة، وانتهاج الوسطية في الفكر والتوجه، بعيدا عن التطرف والغلو الذي يخدم الأهداف الضيقة ويضيّع المصلحة العليا للأمة .
- كما أن تثمين المميزات الحضارية للأمة في إطار أصالتها مبدأٌ محمود، ومواكبةُ العصر أمرٌ معقول، والحَكَم بين هذا وذاك هو مراعاة مصلحة الأمة على ضوء روح الدين الإسلامي ومقاصده الشرعية .

3/ وحدة الأمة ومصلحتها العليا فوق كل اعتبار:

الله الله يا أعيان الأمة ويا سراتها في أمتكم، وحدوها وأبعدوا عنها أسباب الخلاف والتدابر وما يؤدي بها إلى التقاطع والتناحر، فإن في الاتحاد قوةً وحياةً، وفي التفرق ضعفا ومماتا، {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال46] .

هذا، وإن الله تعالى لسائل كل واحد منكم يوم القيامة عما استرعاه من مسؤولية قيادة الأمة وريادتها وتوجيهها، فاتقوا الله في ذلك؛ وامتثلوا أمر ربكم القائل :{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ }[آل عمران103] .

ثم اعلموا أن القواسم المشتركة في الأمة وما يجمعها أقوى وأكثر من أسباب الخلاف والنزاع؛ على أن المتأمل في تلكم الأسباب يجد أنها لا تخلو من أحد أمرين :

إما للتعصب في فروع الدين وما هو من قبيل مسائل الرأي مما يسوغ فيه الاجتهاد ويجوز فيه الخلاف شرعا؛

وإما لتغليب الأنانية والقناعات الشخصية والمصالح الضيقة مما لا يجوز أن يكون سببا لتفريق كلمة الأمة وتمزيق شملها؛

أما ما كان من قبيل أصول الدين ـــ وهو نادرـــ فالواجب الاجتهاد في سبيل إزالة الخلاف فيه إن وجد، ولا خير ولا أفضل من سلوك المنهج القرآني في ذلك، كما يبينه الله بقوله : {ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل125] .

أما الأمة والرعية فهي مسخرة بحمد الله، فيها قابليةٌ للتوجيه الإيجابي نحو التوحد ونبذ أسباب الخلاف، ومعها تعطشٌ لكل ما يدعوها للالتفاف على قيادتها . فالأمر راجع إليكم وزمامه بيدكم فانظروا ماذا تعملون .

4/ المنهج الأمثل لمؤسساتنا والتخطيط الاستراتيجي لمستقبلها:

إن نظامنا الاجتماعي الموروث يُعد مكسبا حضاريا لا يُقدر بثمن، وعلى رأس ذلكم المكسب مؤسساتُنا القيادية في المجتمع، وبقدر أداء هذه المؤسسات لدورها الريادي وقيامها بمهامها بجدارة وكفاءة تزداد مكانتُها في القلوب ويثقل تأثيرها في الواقع الاجتماعي، الشيء الذي يزيدها قوة ومتانة ونفاذا للكلمة .

إن الأصل الذي قامت عليه المؤسسات الاجتماعية في وادينا العزيز هو القيادة الجماعية بكل ما تعنيه العبارة من مدلول، ولذلك فهو نظام مؤسساتي لا نظامَ أشخاصٍ يزول بزوالهم أو يمرض بمرضهم، وتكريس هذا المبدأ في منهج عمل مؤسساتنا أمرٌ مهم للغاية، سيكون له أثره الإيجابي في مستقبلها بإذن الله تعالى .

ثم إنه بقدر ما يجب تكريس المبدأ المذكور من القيادة الجماعية لا الفردية ومن نظام المؤسسات لا نظام الأشخاص، فإنه من الواجب أيضا اقتناص الطاقات البشرية ذات المؤهلات العالية والتوجه الإيجابي لتعزيز فاعلية مؤسساتنا القيادية بها، بل ينبغي القيام بخطوةٍ أعمقَ في هذا الصدد، وذلك بإعداد تلك الطاقات وبنائِها وصناعةِ نماذجَ قياديةٍ كفأة، ثم تهيئتِها لتساهم بفاعليةٍ في القيادة الرشيدة للأمة .

وإذا كان اعتبار المصلحة العليا للأمة هو المقدم فلا محالة حينئذ من تقليد المسؤوليات للعناصر المقتدرة باعتبار الكفاءة والأهلية واللياقة لا باعتبارات أخرى، إذ بغير ذلك تضيع المصلحة العليا للأمة، ويكون السعي حينها لتحقيق مصالح الأشخاص وقضاء مآربهم ونزواتهم .

ومع ضرورة اعتبار الكفاءة في تقليد المسؤوليات ...فإنه لا أضمن لصلاح الأمة ونجاح مؤسساتها من تلاقح حكمة الشيوخ وتجربتهم بحيوية الأجيال الصاعدة وإبداعها، في منهج يسوده التكامل والتنسيق والثقة المتبادلة، وذلك سدا لذريعة ما يسمى بصراع الأجيال ...، وهذا وأيم الحق من سجايا شيخنا المرحوم عمنا ج أحمد بازين الذي نشهد له بسلوك هذا المنهج الرصين، ونحن أبناؤه الروحيون وخريجو مدرسته القيادية .

هذا ولا يفوتني في ختام هذه الكلمة التي ألقيتها أصالة عن نفسي و نيابة عن مجموع أعضاء حلقة العزابة للمسجد الكبير بغرداية، والحلقات التي تنشط في فلكها : حلقة إروان، مجلس الفتوى، محضرة الشيخ باسعيد وعلي القرآنية، لا يفوتني أن أسجل أن الأمة في خير وفيها خير ، وإذا نظرنا إلى المؤشرات الإيجابية فيها فإننا نتفاءل بمستقبل زاهر وغد مشرق يكون فيه العز للإسلام والتمكين لأهل الصلاح منه، وما ذلك على الله بعزيز، وهو على ذلك قدير، نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

بشير موسى الحاج موسى

غرداية، صباح الخميس **18** جمادى الثانية **1430**هـ / **11** جوان **2009**م